

# ليالي الداخلية

رواية تتناول حياة الكاتب ورفاقه من الطلبة في الداخلية  
"دار الطالب" بفجيج شرق المملكة المغربية في  
السبعينيات من القرن الماضي

تصوير للاحداث و نقل للصور المثيرة داخل فضاء الدار وفي  
المدينة منذ وصول الكاتب الى الداخلية 1974 حتى خروجه  
منها 1978



- دخل فصل الخريف سريعا وهو في سنته الثانية بفجيج . هطلت امطار غزيرة جرّت سيولا جارفة سقطت من وقعها دور قديمة وامتلات الطرق والجنبات ماء كثيرا منع الحركة عليها لأيام. رأى رجال الإطفاء يسرعون في تدخلهم حتى يمنعوا وقوع الأسوء. هؤلاء احتفظ لهم في عقله بصورة خيالية بسيطة غير ملونة على أحد كتب أحمد بوكماخ . دخل الخريف وهذا يمثل بالنسبة له الفراق . فراق الأسرة من جديد . المغادرة القسرية الى فجيج . الى دار الطالب . كان يعتب على الطبيعة تسريع ذلك الفراق بطيها للصيف مبكرا . مساء ذلك اليوم الصعب ، انتظر تلك الناقلة المعروفة عند الجميع ب"كار زناقة" وقف في المحطة كئيبا يكاد الحزن يخنقه . "زناقة" هو حي كبير مشهور بفجيج و يطلق عليه اهل البلد "قصر زناقة" ، قصر غني بناسه ونخيله وازقته الاثرية الضيقة قليلا . ببساتينه المحاطة بأسوار عتيقة . الناس في فجيج على ذلك التاريخ ، عاشوا ضمن جماعات متألّفة متضامنة . يطبع أهل القصور فيها الجود

والكرم وحبهم للعلم والمعرفة. دخل الثانوية  
وبداية الموسم دخول العارف الحافظ  
للطقوس المعمول بها هناك وفي  
الداخلية. كانت الثانوية عنده على مرمى  
البصر وهو يجتاز مبنى السوق. جل الذين  
كانوا يسرون على تلك الطريق من  
الطلاب معروفون لديه. هم يعرفونه  
أيضا. لقد جمعتهم الدراسة والطريق في  
الموسم الماضي. ما لم يكن مألوا بالنسبة  
له، هم الأساتذة الجدد. كانوا هناك مع  
اساتذته، لكن الحديث اليهم أو مجرد  
الاقتراب منهم، كان محرما يفرضه  
الاحترام الشديد لهم. دخل أول حصة عند  
"سي هكُو" وقد سمع الطلاب يذكرونه  
باسم "مُو بُوْحَا" هو أستاذ للرياضيات  
بالمستوى الثاني بالثانوية على مر السنين  
لا منازع. "تخصص سي محب" في قسم  
الملاحظة بلا منافس. بدا كل شيء مفصلا  
على المقاس التعليمي الهادف بهذه  
المؤسسة العتيقة. كان الأستاذ "موبوحا"  
متخصصا في "مجموعة Z" بينما  
تخصص السي "محب" في مجموعة  
"N" وأسندت الفصول التي بلغت

مستوى الرياضيات "Q" للأستاذ  
"عمر" اما من ساعده الحظ على بلوغ  
مجموعة "R" فسيكون تلميذا للأستاذ  
"مكاوي" «كان الطلبة ينعنون اساتذتهم  
بلقب المجموعة التي يدرسونها ؛ فلا  
يذكرون اسم استاذهم ، بل الحرف اللاتيني  
الذي يمثل المجموعة التي يدرسها. امرهم  
الأستاذ "سي هكو" وهم في حصته  
الاولى بإخراج الألواح. تقليد دأب عليه في  
الابتدائي أكثر. أمسك بيده قطعة رقيقة من  
عصا انتزعها قبل حين من إحدى الأشجار  
في بستان على طريقه الى العمل بدأ  
الدرس بالغة الفرنسية. صار يتحدث ولا  
مكان للعربية بين اسنانه. ظهر متوسط  
القامة. بياض وجهه يميل الى السمرة قليلا  
ذو شعر اسود ناعم. كان معطفه البني  
طويلا ينسجم في تناغم مع سروال اسود  
اللون اسفله حذاء بني ذا خيط يزينه. قال  
"سي هكو: "اذا كانت  $a=6$  و  $b=8$   
وكان حاصلهما هو "c" فكم ستكون قيمة c  
اذن عند ضرب A في B: دارت مقلتا تبيح  
ثلاثمائة وستين درجة امام هذه المعادلة  
الصعبة. لا مجال لطلب المساعدة

فالمراقبة لصيقة والخوف يكاد يذهب  
بالاضلع. لم يكن تيمح ممن يفهمون في  
الرياضيات ، وما كان حافظا لجدول  
الضرب . ضرب سي هكو على احدى  
الطاولات بعصاه مؤذنا برفع الالواح فرفع  
الكل الواحهم الا الفتى تيمح . كان غارقا  
في حساب معادلة لم يفهم حتى شكلها . فجأة  
، احس بألم شديد على ظهر كفه . انها  
ضربة منبهة أولى ، في اول حصة  
للرياضيات مع الأستاذ الجديد " سي هكو"  
.. عادت به الذاكرة الى "سي بدوي" في  
قسم الشهادة . والى "سي حيمي" في  
الفصل الرابع حين اشبعوه ضربا على  
كفيه دفعا الى حفظ جدول الضرب . منذئذ  
أصبح تيمح يكره حصة هذا الأستاذ . يخافه  
خشية . يتمنى لو يحدفوا المادة من المقرر  
فيتخلص منها ومنه . لكن "سي هكو"  
كان يعي ما يفعل . كان يحسن تدريبيه . في  
احد أيام الشتاء من ذلك العام ، دخل "سي  
هكو" الى الفصل . لم يطلب من أحد اخراج  
لوحته ولا سأل عن مسألة . لم يحمل عصا  
ولم يضرب طاولة ولا أحدا من الطلاب .  
بدأ درسه يومها سلسا سهلا هادئا . انتهت

الحصة وقد تمنى تيمح الا تنتهي. هم الطلاب بالمغادرة لولا ان الأستاذ وقف بباب الفصل كأنه نسي شيئاً من درسه يريد تداركه . في تصرف غريب ، أمر "سي هكو" الطلاب في دار الطالب بعدم المغادرة . كانت لحظة فارقة . خوف انتاب الجميع . أرسل بعض الطلاب من أهل البلدة نظرات تساءل مستغربين ذلك التصرف . عم الترقب والدهشة . الكل يخمن ما سيقوله أو يفعله الأستاذ . والعقاب على أتفه الأخطاء على ذلك التاريخ شديد . بعد أن خرج الطلاب القاطنون بالمدينة ، خاطب "موبوحا" الباقين " "شوفو ، اليوم ان شاء الله في الليل ، غدي تجيو تتعشاو عندنا في زناقة مرحبا بكم راها عندنا واحد الصدقة " "كلمات كانت كافية لمحو كل صور الرعب والخوف المرسومة لهذا الرجل في ذهن تيمح . خرج والفرحة لا تجد من نفسه مكانا الا غمرته . كان طول الطريق يقفز ويضحك سرورا وبهجة . وأتى الليل . "لم ينشغل الطلاب في ذلك الليل بالمراجعة كما جرت العادة ، فالمناسبة كبيرة ،

والرحلة الى قصر زناقة طويلة في جنح  
الظلام عبر الدروب شبه المظلمة. ثم ان  
تناول وجبة العشاء تحت الأغصان  
السامقة العارية ،و في بيت الاستاذ ،كل  
ذلك شغلهم عن التفكير في أي شيء يتعلق  
بالدراسة .حين أرخى الليل ظلامه  
والساعة تشير الى السادسة، انطلق موكب  
الطلاب مثنى مثنى يعبرون الى مكان  
الصدقة. أمسوا يتلمسون سبيلهم عبر  
مصباح كبير كان يمسك به مرشدهم. إذا  
صادفهم مكان مظلم . ساروا في نظام بديع  
متراسة صفوفهم. كانت أضواء المصابيح  
العمومية في بعض الأزقة تراقبهم من  
أعلى وهم يمرون .تفتح أمام اعينهم  
الطريق. تبتسم لهم اشعتها في هدوء  
مرحبة. لا صوت يعلو فوق صوت وقع  
الاقدام على أرضية الدروب. احيانا كان  
يهمس احدهم : " وش مزال موصلناش؟ هذ  
شي طويل" ثم ينقطع الصوت تاركا المكان  
لوقع النعال .ما من احد من الطلاب ينتعل  
حذاء .فهم سيدخلون منزل الأستاذ  
.سيجلسون على أفرشة يجب الا يوسخوها  
 . لا مكان للروائح الكريهة وهم بين فقهاء

المساجد حفظة القرآن الكريم . وبين  
حضرة كبار اهل فجيح الوقورين . دخل  
الطلاب نزلاء دار الطالب وكانوا كثيراً دار  
الأستاذ . كانت بهوا كبيرا تحيط به  
الأشجار من جوانب عديدة . تطل اغصانها  
على ذلك الفناء في عناق ابدى . جدران من  
طوب طيني او من تراب . كانت الانارة  
خافتة . جلس الحاضرون حول المكان حتى  
ملأوه . في وسط تلك الحلقة طاولات  
غلفها ثوب جميل متنوعة ألوانه . وجدوا  
المكان على أمة من رجال يتلون القرآن  
الكريم لا يتوقفون . انخرط الطلاب يقرأون  
لقراءتهم ويتلون لتلاوتهم حتى علا  
صوتهم و طال الارحاء المجاورة . كان  
الناس يتوافدون لا تنقطع خطواتهم ؛ منهم  
الشيب ومنهم الشباب الا الاطفال . ما من  
انثى دخلت المكان . جلس تيمح يجول  
بنظره في كل الارحاء . يتبع حركة الاستاذ  
كلما دخل البهو . يمر به فيشير بأصبعه  
متوعدا بالعقاب ان لم يأكل كثيرا . صلى  
الجمع العشاء جماعة . تحلق المدعوون  
حول الطاولات . انفرد الطلاب نزلاء  
الداخلية امام طاولات خاصة . وزعت

الملاعق أولاً ، ثم نشأت حركة سريعة  
صاخبة من شبان يحملون اطباق الكسكس  
و صحونا بها لحم يسير ، وأواني بها  
منقوع الخضر لسقي أكوام  
الكسكس.أكواب من الماء الصافي يجوب  
بها غلمان حسنة وجوههم دخلوا المكان  
فجأة بين الجالسين . نشطت الملاعق تتبع  
ذلك الصخب . صار ""موبوحا"" يمر بين  
جماعات الطلاب مرددا ""كلوا ،كلوا ،لا  
تستحيوا ""فيزداد صوت وقع الملاعق  
على الصحون ارتفاعا ،ويجتهد الطلاب  
في الأكل اجتهادا.كانت الاطباق لذيدة  
ملأى تغري .كانت قطع اليقطين وبعض  
الخضروات عليها تجذب النظر وتمنيه  
.جمعت الاطباق بعد أن فقدت وزنها  
.استمع الطلاب لحديث قدمه أحد العلماء  
من أهل المدينة ظهر له شأن عظيم بينهم  
. رفعت الاكفف بالدعاء من شيخ كبير  
يرتدي جلباب الوقار.كان الطلاب يرددون  
ببراءة وصدق مع المردين ""أمين أمين  
""

انتهت المأدبة بشبع أصاب البطون .

حان وقت الرحيل ،انتظمت الصفوف من  
جديد .انطلق الجميع عائدين .لم يشعر احد  
بتلك الطريق كما كان ذلك قبل ساعات

بلغ الطلاب مأواهم وناموا يحدوهم الامل  
في عشاء قريب